بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو محمدٍ عبدُ الله بنُ مُسْلِم بنِ قُتَيْبَةَ رحمه الله تعالى :

أما بعدَ حمدِ الله بجميع محامده ، والثناءِ عليه بما هُوَ أَهْلُهُ ، والصلاةِ على رسوله المصطفى وآله ؛ فإنى رأيتُ أكثرَ أهلِ زماننا هٰذا عن سبيل الأدب ناكِبين ومن اسمه مُتَطَيِّرِينَ ، ولأهله كارهين[1] : أما الناشىء منهم فراغبٌ عن التعليم ، والشَّادِى تاركٌ للازدياد ، والمتأدِّبُ فى عُنْفُوَان الشباب ناسٍ أو مُتَنَاسٍ[2] ؛ ليدخلَ فى جملة المجدُودين ، ويخرج عن جملة المحدودين[3] فالعلماء مَغْمُورونَ ، وبكَرَّةِ الجهلِ مَقْمُوعُونَ[4] حين خوَى نجمُ الخير[5] وكسدتْ سوقُ البرِّ ،

---

(١) « ناكبين » عادلين عنه ، جمع ناكب ، وهو العادل عن الشىء ، وقيل للذى يعدل عن الشىء ناكب لأنه يوليه منكبه ، و «متطيرين » متشائمين لنفور طباعهم عنه ، والطائر والتطير : الشؤم ، وقوله « ولأهله كارهين » وقع فى نسخة الجواليقى «ولأهله هاجرين » والهاجر : القاطع

(٢) « الناشىء » الحدث الشاب حين نشأ ، أى : ابتدأ فى الارتفاع عن حد الصبى إلى الإدراك ، و « الشادى » : الذى قد شدا من العلم شيئاً ، أى : أخذ منه طرفا وتعلمه ، و « عنفوان الشاب » ريعانه وميعته ، أى : أوله

(٣) « المجدودين » المحظوظين ، من الجد — بفتح الجيم — وهو هنا الحظ ، و « المحدودين » المحرومين ، وأصل الحد المنع ، ومنه قول النابغة :

إلا سليمان إذ قال الإله له : قم فى البرية فاحددها عن الفند

وكأنهم لما منعوا الرزق والبسطة فيه قيل لهم محدودون

(٤) « مغمورون » خاملون لانباهة لذكرهم ، وأصل الغمر التغطية ، و « كرة الجهل » دولته ، وفى نسخة « وبكثرة الجهل — إلخ » و « مقموعون » مقهورون مغلوبون ، وأصل القمع الضرب بالمقمعة

(٥) «خوى نجم الخير» أصل معنى «خوى» خلا من المطر ، أى : أخلف مطره =

وبارتْ بضائعُ أهله ، وصار العِلم عاراً على صاحبه ، والفضلُ نقصاً ، وأموالُ الملوك وَقْفاً على [شهواتِ][1] النفوس ، والجاهُ الذى هو زكاة الشرف يُبَاع بيع الخَلَقِ[2] وَآضَتِ المُرُوءات فى زخارف النَّجْد وتشييد البُنْيَان[3] ،ولَذَّاتُ النفوس فى اصطِفاق المَزَاهِر ومُعاطاة النَّدْمَان[4] . ونُبِذَتِ الصنائع[5] وجُهِل قَدْرُ المعروف ، وماتتِ الخواطر ، وسقَطَتْ هِمَم النفوس ، وزُهِدَ فى لسان الصدق وعَقد الملكوت[6] . فأبعدُ غايات كاتبنا فى كتابته أن يكون حَسَنَ الخط قَوِيمَ الحروف ، وأعلى منازلِ أديبنا أن يقول من الشعر أَبْيَاتا فى مدح قَيْنَة[7] أو وصف كأس ، وأرْفَعُ درجات

= الذى كان يرجى منه ، ثم استعمل «خوى النجم» بمعنى سقط وأفل ، ثم استعمل فى معنى قلة الخير وسقوط الدولة ، و « كسدت سوق البر » أى : فسدت وبارت ، ولم ترج سلعها

(١) سقطت هذه الكلمة من نسخة الجواليقى

(٢) الخلق ـ بفتحتين ـ البالى ، سمى خلقا لملاسته ، ومن ذلك قولهم للصخرة الملساء خلقاء

(٣) « آضت » : صارت ورجعت ، والزخارف : جميع زخرف ، وأصله الذهب ثم قيل للحسن والزينة ، والنجد : ما نضد من متاع البيت ، وجمعه نجود ، وتشييد البنيان : رفعه وإطالته .

(٤) المزاهر : جمع مزهر ، وهو العود ، وسمى مزهرا لحسن صوته ؛ فإن الزهرة الحسن والغضارة ، واصطفاق المزاهر : الضرب بها واجتلاب أصواتها ، والندمان ـ بفتح النون ـ هو النديم ، مثل رحمن ورحيم وسلمان وسليم ، وأصله الذى يصاحبك على الشراب ، ثم أطلق على كل مصاحب .

(٥) الصنائع : جمع صنيعة ، وهى الإحسان ، ونبذها : تركها والإعراض عنها .

(٦) لسان الصدق : الثناء الحسن ، قال تعالى (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) وقوله « عقد الملكوت » العقد : مصدر عقدت الحبل عقدا ، أى : شددته ، والملكوت : أصله الملك ، والمعنى إن الرغبة قد قلت فى طلب الثناء الحسن ، وفى بلوغ مراتب الكمال لضعف همم الناس .

(٧) أبيات ـ بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة ـ تصغير أبيات التى =

لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب ، وينظر فى شىء من القضاء وَحَدِّ المنطق ، ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه ، وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدرى مَنْ نَقَلَهُ ، قد رَضِىَ عِوَضاً مِنَ الله ومما عنده بأن يقال « فلان لطيف » و « فلان دقيق النظر » يذهب إلى أن لُطْفَ النظر قد أخرجه عن جملة الناس وبلغ به عِلْمَ ما جَهِلوه ؛ فهو يدعوهم الرَّعاع والغُثَاء والغُثْرَ[1] ، وهو لعمرُ الله بهذه الصفات أَوْلَى ، وهى به أَلْيَقُ ؛ لأنه جهل وظَنَّ أنْ قد عَلِم ، فهاتان جَهَالتان ؛ ولأن هؤلاء جهلوا وعلموا أنهم يجهلون . ولو أن هذا المُعْجَب بنفسه ، الزارِىَ على الإسلام برأيه ، نظر من جهة النظر لأَحْيَاهُ الله بنُورِ الهدى وثَلَجِ اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر فى علم الكتاب ، وفى أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وفى علوم العرب ولغاتها وآدابها ، فنَصَب لذلك وعَادَاهُ[2] وانحرف عنه إلى علم قد سَلَّمه له ولأمثاله المسلمون ، وقلَّ فيه المتناظرون ، له ترجمةٌ تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم ؛ فإذا سمع الغُمْرُ[3] والحدَثُ الغِرُّ قولَه : الكَوْن والفساد ، وسَمْع الكيانِ[4] ، والأسماءَ المفردةَ ، والكيفيةَ

= هى جمع بيت ، والقينة — بفتح فسكون — الأمة ، مغنية كانت أو غير مغنية .

(١) الرعاع : رذال الناس وضعفاؤهم ، وهم الذين إذا فزعوا طاروا ، ويقال للنعامة رعاعة ؛ لأنها دائماً منخوبة فزعة . والغثاء — بضم الغين — ما يحمله السيل من يابس النبات ، وأراد به السفلة ، والغثر — بضم فسكون — جمع أغثر ، وهو الأحمق ، وقالوا للضبع غثراء لأنها أحمق الدواب .

(٢) « نصب لذلك » أى : قصد له ، وتجرد من كل مايشغله عنه ؛ ليكيد له ويزيفه .

(٣) الغمر — بالضم — الرجل الذى لم يجرب الأمور .

(٤) « سمع الكيان » كتاب لأرسطو ، والكيان : الطبيعة ، وهى كلمة فارسية الأصل ، ومعنى « سمع الكيان » قبل أن تكون علما أسمع ما يكون ، هكذا قال =

والكنية والزمان والدليلَ ، والأخبارَ المؤلفة ؛ راعه ما سمع ، وظن أنَّ تحت هذه الألقاب كلَّ فائدة وكلَّ لطيفة ، فإذا طالعها لم يَحْلَ منها بطائل[1] ، إنما هو الجوهر يقوم بنفسه ، والعَرَضُ لا يقوم بنفسه ، ورأس الخط النقطة ، والنقطة لا تنقسم ، والكلام أربعة : أمر ، وخبر ، واستخبار ، ورغبة ؛ ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب ، وهى : الأمر ، والاستخبار ، والرغبة ، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر ، والآنُ حدُّ الزمانَيْنِ ، مع هذَيان كثير ، والخبر ينقسم إلى تسعة آلاف وكذا [و] كذا مائةً من الوجوه ، فإذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه فى كلامه كانت وَبالا على لفظه ، وقَيْداً للسانه ، وعِيًّا فى المحافل ، وعُقْلَة[2] عند المتناظرين . ولقد بلغنى أن قوماً من أصحاب الكلام سألوا محمدَ بنَ الجَهْم [البرمكىّ][3] أن يذكر لهم مسألة من حد المنطق حسنة لطيفة ، فقال لهم : ما معنى قول الحكيم : « أولُ الفكرة آخرُ العمل ، وأولُ العمل آخر الفكرة » ؟ فسألوه

= شراح الكتاب ، والذى يبدو لى أن « سمع » فعل معطوف على الذى قبله فى قوله « سمع ... الكون والفساد — إلخ » وقد أظهر الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد مدير الجامعة المصرية الآن (مايو ١٩٣٥) كتاب أرسطو باسم « الطبيعة » كما أظهر له كتاب « الكون والفساد » فاسم الكتاب إذن « الكيان » أى الطبيعة ، كما علمت

(١) « لم يحل » أى : لم يظفر ولم ينل ولم يدرك « طائل » هو الشىء النفيس الذى له فضل ، وأصل مأخذه من الطول — بفتح فسكون — وهو الفضل ، وستجد بعد قليل فى كلام المؤلف تحريضاً على تعلم العلوم الكونية التى لابد من معرفتها لمن يريد أن يكون إنسانا تام الإنسانية أديباً ، وستظن أن بين الكلامين تدافعا ، وأنه يضرب هناك صفحا عما أثبته ههنا ، ولكنك لو تأملت لعلمت أنه هنا إنما ينهى عن التمشدق بالألفاظ والتعمق فى الإغراب على الناس (انظر ص ٩ التى تأتى بعد) .

(٢) عقلة — بالعين المهملة والقاف — أى : حبسة ، وفى نسخة « غفلة » بموحدتين

(٣) محمد بن الجهم : رجل من البرامكة ، من أصحاب المنطق ، وللكندى إليه رسالة ، وكلمة « البرمكى » ساقطة من بعض نسخ الكتاب .

التأويل ، فقال لهم : مَثَلُ هذا [كمثلِ] رجل قال : « إنى صانع لنفسى كِنًّا » فوقعَتْ فكرته على السقف ، ثم انحدر فعلم أن السقف لا يكون إلا على حائط ، وأن الحائط لا يقوم إلا على أُسّ ، وأن الأُسَّ لا يقوم إلا على أصل ، ثم ابتدأ فى العمل بالأصل ، ثم بالأس ، ثم بالحائط ، ثم بالسقف ؛ فكان ابتداء تفكره آخرَ عمله وآخرُ عمله بدءَ فكرته ؛ فأيةُ منفعةٍ فى هذه المسألة ؟ وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج إلى إخراجه بهذه الألفاظ الهائلة ؟ وهكذا جميع ما فى هذا الكتاب : ولو أن مؤلفَ حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام فى الدين والفقه والفرائض والنحو لعدَّ نفسه من البُكْمِ ، أو يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لأيقنَ أن للعرب الحكمةَ وفَصْلَ الخطاب .

فالحمد لله الذى أعاذ الوزير أبا الحسن[1] — أيده الله — من هذه الرذيلة ، وأبانه بالفضيلة ، وحَباه بخِيم السلف الصالح[2] ، وردَّاه رِداء الإيمان ، وغشّاه بنوره ، وجعله هُدًى من الضلالات ، ومصباحاً فى الظلمات ، وعَرَّفه ما اختلفَ فيه المختلفون ، على سَنَن الكتاب والسُّنَّة ؛ فقلوبُ الخيار له مُعْتَلِقةٌ ، ونفوسُهم إليه مائلة[3] ، وأيديهم إلى الله فيه مَظانَّ القبول ممتدَّةٌ ، وألسنتهم بالدعاء له شافعة : يهجَع ويستيقظون ، ويغفُل ولا يغفلون ؛ وحُقَّ لمن قام لله مَقامَهُ ، وصبر على الجهاد صَبْرَهُ ، ونوَى فيه نِيَّتَهُ ، أن يُلبسه الله لباس الضمير ، ويُرَدِّيَهُ رداء

---

(١) « الوزير أبا الحسن » هو أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، كان وزيرا للمتوكل ، وقد عمل ابن قتيبة هذا الكتاب له ، وتوسل به إليه ، فأحسن صلته ، واصطنعه ، وقدمه للمتوكل ، وأحسن الثناء عليه عنده ، حتى صرفه المتوكل إلى بعض عمله

(٢) « أبانه » ميزه وفصله عن غيره ، و « حباه » منحه ، وخصه ، و « الخيم » — بكسر الخاء — الطبع والشيمة والسجية .

(٣) فى نسخة الجواليقى « به متعلقة ، وأنفسهم إليه صبة » وفى نسخة عند ل « مشتاقة » .

العمل الصالح ، وَيَصُورَ إليه مختلفاتِ القلوب(١) ، وَيُسعده بلسان الصدق في الآخرين .

فإني رأيتُ كثيراً من كُتَّاب [أهل](٢) زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدَّعَة(٣) واستوطؤا مركب العجز ، وَأَعْفَوْا أنفسهم من كدِّ النظر وقلوبَهم من تعب التفكر ، حين نالوا الدرَكَ بغير سبب ، و بلغوا البِغْية بغير آلةٍ ؛ وَلَعمْرِي كان ذاكَ(٤) فأين همةُ النفسِ ؟ وأين الأَنَفَةُ من مجانسة البهائم ؟ وأيُّ موقفٍ أخزَى لصاحبه من موقفِ رجلٍ من الكتّاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه(٥) وارتضاه

---

(١) «أن يلبسه الله لباس الضمير» أي : يظهر الله عز وجل ضميره الجميل ، وقوله « ويصور — إلخ » أي يميل إليه ، وتقول : صاره يصوره ، مثل قاله يقوله ، وصاره يصيره ، مثل باعه يبيعه ، وأصاره يصيره ، مثل أقامه يقيمه ، ومن الأول قوله تعالى (فصرهن إليك) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من نسخة الجواليقي .

(٣) الدعة : الراحة والخفض في العيش . وفعلها ودع يودع فهو وادع ، مثل طهر فهو طاهر .

(٤) في نسخة الجواليقي « وقد لعمري كان ذاك فأين — إلخ » .

(٥) قال الجواليقي « والخليفة السائل عن الكلأ المعتصم ، وكان أميا ؛ وذلك لأن الرشيد سمعه يقول وقد مات بعض الخدم : استراح من المكتب ، فقال الرشيد : أو قد بلغت منك كراهة المكتب هذا ؟؟ !! وأمر بإخراجه منه ، والرجل الذى اصطفاه هو أحمد بن عمار بن شاذى ، ويكنى أبا العباس ، وكان قد ولى العرض للمعتصم بعد الفضل بن مروان ، ولم يكن وزيراً ، وإنما كان الفضل بن مروان اصطنعه لنفسه لثقته وصدقه ، فلما نكب الفضل رد المعتصم الأمر إلى أحمد بن عمار ، وكان محمد بن عبد الملك الزيات إذ ذاك يتولى قهرمة الدار ، فورد كتاب على المعتصم من صاحب البريد بالجبل يصف فيه خصب السنة فيه : كثر الكلأ ، فقال المعتصم لأحمد بن عمار : ما الكلأ ؟ فقال : لا أدرى ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، خليفة أمى وكاتب أمى ؟؟ !! ثم قال : من يقرب منا من كتاب الدار ؟ فعرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات ، فدعا به فقال : ما الكلأ ؟ قال : النبات كله رطبه ويابسه ... ثم اندفع فى صفات النبت =

لسرّه ، فقرأ عليه يوماً كتاباً وفى الكتاب « ومُطِرْنَا مطراً كثُرَ عنه الْكَلَأ » فقال له الخليفة ممتحناً له : وما الكلأ ؟ فتردَّدَ فى الجواب وتعثّر لسانه ، ثم قال : لا أدرى ، فقال : سَلْ عنه ؛ ومن مقامِ آخَرَ[1] فى مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتاباً ذُكِر فيه « حاضرُ طَيٍّ » فصحَّفه تصحيفاً أضحك منه الحاضرين ، ومن قولِ آخَرَ[2] فى وصفِ بِرْذَوْنٍ أهداه « وقد بعثتُ به [إليك[3]] أبيضَ الظهر والشفتين » . فقيل له [لو قلت[3]] أرْثَمَ أَلْمَظَ ، قال:فبياض الظهر [ماهو[3]]؟ قالوا : لاندرى ، قال : إنمـا جهلتُ من الشفتين ما جهلتم من الظهر[4] ؛ ولقد حضرتُ جماعة من وجوه الكتّاب والعمال العلماء بتحلُّب الفَيْء[5] وقتل النفوس فيه ، و إخراب البلاد ، والتوفير العائد على السلطان بالخُسران المبين ، وقد دخل عليهم رجلٌ من النَّخّاسين[6] ومعه جاريةٌ رُدَّت عليه بسنّ شاغية زائدة[7] ، فقال : تبرأتُ إليهم من الشَّغَا فرَدُّوها علىَّ بالزيادة ، فكَمْ فى فم الإنسان من

= من حين ابتدائه إلى اكتهاله إلى هيجه ، فاستحسن المعتصم قوله ، فقال : ليتقلد هذا العرض على ، ثم خص مكانه منه حتى استوزره » اهـ .

(١) قال الجواليقى « هذا شجاع ابن القاسم كاتب أو تامش التركى . قرأ على المستعين (أحمد بن محمد المعتصم) وصحف هـذه اللفظة فقال : « حاضرطى » اهـ ، وفى نسخة عند ل « وصحف هذه اللفظة فقال : جاء ضرطى »

(٢) لم تتيسر لنا معرفة هذا الآخر ، ولم يذكره أحد الشراح .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من نسخة الجواليقى .

(٤) إذا كانت جحفلة الفرس (شفته) العليا بيضاء فهو أرثم ، فإذا كانت جحفلته السفلى بيضاء فهو ألمظ ، فإذا كان أبيض الظهر فهو أرحل .

(٥) الفىء : الغنيمة والخراج ، وتحلبه : جبايته واستخراجه .

(٦) أصل النخاس بائع الدواب ، ثم قيل لبائع الرقيق نخاس أيضاً .

(٧) « بسن شاغية » اسم فاعل من الشغا ، وهو اختلاف نبتة الأسنان ، وهو أن يركب بعضها فوق بعض فتخرج عن منبتها ، والرجل أشغى ، والمرأة شغواء ، وإنما تبرأ إليهم من الشغا لأنه لايخفى على ذى عينين ؛ إذ المشاهدة تدركه .

سنٍّ ؟ فما كان فيهم أحد عَرَفَ ذلك ، حتى أدخل رجل منهم سَبَّابته فى فِيهِ يَعُدُّ بها عوارضه فسال لُعابُهُ ، وضَمَّ رجل فاه وجعل يعدّها بلسانه . فهل يَحْسُن بمن ائتمنه السلطانُ على رعيته وأمواله ورَضِيَ بحكمه ونظره أن يجهل هذا من نفسه[1] ؟ وهل هو فى ذلك إلا بمنزلة مَن جهل عددَ أصابعه ؟ ولقد جرى فى هذا المجلس كلام [كثيرٌ[2]] فى ذكر عيوب الرقيق فما رأيت أحداً منهم يعرف فَرْقَ ما بين الوَكَعِ وَالكَوَعِ[3] ، ولا الحَنَفَ من[4] الفَدَعِ ، ولا اللَّمَى من اللَّطَعِ[5] .

فلما أن رأيتُ هذا الشأنَ كل يوم إلى نُقْصَان ، وخشيت أن يذهب رَسْمُه ويَعفُوَ أثره ؛ جعلتُ له حظّاً من عِنايتى ، وجزءاً من تأليفى ؛ فعملتُ لمُغْفل التأديب كُتُباً خفافاً فى المعرفة ، وفى تقويم اللسان واليد ، يشتمل كلُّ كتاب منها على فن ، وأعفيته من التطويل والتثقيل ؛ لأنشطه لِتَحَفُّظِهِ ودراسته إن فَاءَتْ به

---

(١) عدد الأسنان اثنتان وثلاثون سناً : أربع ثنايا ، وأربع رباعيات ، وأربعة أنياب ، وأربعة ضواحك ، وأربعة نواجذ ، واثنتا عشرة رحى .

(٢) سقطت هذه الكلمة من نسخة الجواليقى .

(٣) الرقيق اسم جنس للعبيد ، ولا مفرد له من لفظه ، والوكع بفتحتين : ميل إبهام الرجل على الأصابع حتى يرى شخص أصلها خارجا ، والكوع : اعوجاج اليد من قبل الكوع ، وهو رأس الزند الذى يلى الإبهام .

(٤) الحنف : إقبال كل واحدة من الإبهامين على صاحبتها ، وقال ابن الأعرابى : هو المشى على ظهر القدمين ، والفدع فى الكف : زيغ بينها وبين عظم الساعد ، وفى القدم زيغ بينها وبين عظم الساق .

(٥) اللمى ـ مثلث اللام ـ سمرة فى الشفة تضرب إلى السواد ، وهو من المحاسن ، والرجل ألمى ، والمرأة لمياء ، واللطع : أن تذهب الأسنان وتبقى أصولها ، أو هو بياض يصيب الشفاه ، مثل الذى يرى فى شفاه السودان .

همته[١] وأُقيد عليه بها ما أضلّ من المعرفة ، وأستظهر له بإعداد الآلة لزمان الإدالة أو لقضاء الوَطَر عند تبيّن فَضْل النظر[٢] ، وألحقه ـ مع كَلاَل الحد ويبس الطينة ـ بالمُرْهَفين[٣] ، وأدخِله — وهو الكَوْدَن — فى مِضمار العِتَاق[٤] .

وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا بالجسم ، ومن الكتابة إلا بالاسم ، ولم يتقدم من الأداة ، إلا بالقلم والدواة ، ولكنها لمن شَدَا شيئاً من الإعراب : فعرف الصَّدْرَ والمصدر[٥] ، والحال والظرف ، وشيئاً من التصاريف والأبنية ، وانقلابَ الياء عن الواو ، والألف عن الياء ، وأشباه ذلك .

ولابد له — مع كتبنا هذه — من النظر فى الأشكال لمساحة الأرَضِينَ ، حتى يعرف المثلث القائم الزاوية ، والمثلث الحادّ ، والمثلث المنفرج ، ومساقط الأحجار ، والمربّعات المختلفات ، والقِسِىّ والمدورات ، والعَمودَين[٦] ، ويمتحن معرفته

---

(١) النشاط : طيب النفس وخفتها للعمل ، تقول : نشطته فنشط نشاطا ، وقوله « فاءت به » معناه رجعت به همته إلى ما كان قد أغفل من النظر .

(٢) « أستظهر له » أى : أحتاط له وأستوثق ، والإعداد : تهيئة الشىء لوقت الحاجة ، و « زمان الإدالة » وقت رجوع الدولة بعد زوالها ، والوطر : كل حاجة تكون لك فيها همة ، و « تبين فضل النظر » : وضوحه وظهوره .

(٣) قال الجواليقى « كلال الحد ـ غير صواب ؛ لأن الكلال مصدر كل إذا أعيا ، فأما كل الحد فمصدره كَل وكلول وكلة ... وهذا مثل ضربه للبليد القليل المضاء ، وشبهه بالسيف الكهام الذى لا يمضى فى الضريبة . و « بالمرهفين » مثل أيضاً ضربه لذوى الفهم والذكاء ، والمرهف : الرقيق المحدد ، شبههم به فى مضائهم وحدتهم » .

(٤) الكودن ـ بزنه كوثر ـ البرذون ، والكدانة : الهجنة ، والعتاق : جمع عتيق ، وهو السابق من الخيل .

(٥) الصدر : هو الفعل .

(٦) انظر الهامشة رقم ١ فى ص ٤ السابقة .

بالعمل فى الأرضين لا فى الدفاتر ، فإن الْمَخْبَرَ ليس كالْمُعايَنِ[١] ؛ وكانت العجم تقول « من لم يكن عالماً بإجراء المياه ، وحَفْرِ فُرَضِ المشارب[٢] ، ورَدْمِ المهاوى ، ومجارى الأيام فى الزيادة والنقص ، ودَوَرَانِ الشمس ، ومطالع النجوم ، وحال القمر فى استهلاله وأفعاله ، ووزن الموازين ، وذَرْعِ المثلث والمربَّع والمختلف الزوايا ، ونَصْبِ القناطر والجسور والدَّوالى والنَّواعير على المياه ، وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب ؛ كان ناقصاً فى حال كتابته » .

ولا بُدَّ له ــ مع ذلك ــ من النظر فى جُمَل الفقه ، ومعرفة أصوله : من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، كقوله : البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه ، وَالْخَرَاجُ بالضمان ، وَجَرْحُ العَجْماء جُبَار ، ولا يَغْلَقُ الرهنُ ، والمنحة مردودة ، والعارية مؤدَّاة ، والزَّعيم غارم ، ولا وصيةَ لوارث ، ولا قطع فى ثَمَرٍ ولا كَثَر ، ولا قَوَدَ إلا بحَديدة ، والمرأةُ تُعاقِل الرَّجُلَ إلى ثُلث الدية ، ولا تَعْقِلُ العاقلةُ عمداً ولا عبداً ولا صلحاً ولا اعترافاً ، ولا طَلَاقَ فى إغلاق ، وَالبَيِّعَانِ بالخيار مالم يتفرّقا ، والجار أحقُّ بصَقَبه ، والطلاقُ بالرجال ، والعدَّة بالنساء ، وكنهيه فى البيوع عن المخابرة وَالْمُحَاقَلة وَالْمُزَابنة وَالْمُعاوَمة والثُّنْيا ، وعن رِبح

(١) « المخبر » بفتح الميم والباء وسكون الخاء بينهما ــ مصدر ميمى لأخبر ، وأصله الخبرة ، وهى العلم ، و « المعاين » بضم الميم وفتح الياء ــ مصدر ميمى لعاين الشىء إذا رآه وشاهده ، والمعنى إن العلم بالشىء ومعرفته ليست كرؤيته ، ويصح أن يكون كل من « مخبر » و « معاين » اسم فاعل بضم الميم فيهما وكسر الحرف الذى قبل الآخر ، يعنى أن العارف بالشىء ليس كمن يراه ويعاينه .

(٢) « فرض » ــ بضم الفاء ــ جمع فرضة ، وهى كل نقب أو ثلمة تنحدر إلى نهر أو واد ، هذا أصله ، ثم كثر حتى سمى كل موضع يرده الناس من الأنهار فرضة ، والمشارب : جمع مشرب ، وهو مكان الشرب .

مالم يُضْمَنْ ، و بيع مالم يُقْبَض ، وعن بَيْعَتَين فى بَيعة ، وعن شرطين فى بيع ، وعن بيع وسَلَف ، وعن بيع الغَرَر و بيع المُوَاصَفة ، وعن الـكالىء بالـكالىء ، وعن تَلَقِّى الركبان ، فى أشباه لهذا ، إذا هو حفظها ، وتفهّم معانيَهَا وتدبَّرها ؛ أغنته بإذن الله تعالى عن كثير من إطالة الفقهاء .

ولا بُدَّ له ـ مع ذلك ـ من دراسة أخبار الناس ، وتَحَفُّظِ عيون الحديث ؛ ليدخلها فى تضاعيف سطوره متمثلا إذا كتب ، وَيَصِلَ بها كلامه إذا حاوَرَ .

وَمَدَارُ الأمر على القُطْب ، وهو العقلُ وَجَودة القريحة ؛ فإن القليل معهما بإذن الله كافٍ ، والـكثير مع غيرهما مقصِّر .

ونحن نستحبُّ لمَنْ قَبل عنا وائتمَّ بكتبنا أن يؤدِّب نفسه قبل أن يؤدبَ لسانه ، و يهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ، و يصونَ مُرُوءته عن دناءة الغِيبة ، وَصِنَاعَتَهُ عن شَيْن الـكذب ، و يجانب ـ قبل مجانبته اللحنَ وَخَطَل القول ـ شنيعَ الـكلام وَرَفَثَ[1] المَزْح : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولنا فيه أسوة حسنة ـ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، ومازح عجوزاً فقال : « إن الجنة لا يدخلها عجوز[2] » وكانت فى علىٍّ عليه السلام دُعَابة ، وكان ابن سِيرِينَ يمزح و يضحك حتى يسيل لعابه ، وسئل عن رجل فقال : توفى البارحة ، فلما رأى جزع السائل قرأ (اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالتى لم تَمُتْ فِى مَنَامِهَا) ، ومازح معاوية الأحنف بن قيس فما رؤى مازحان أوْقَرُ منهما ، قال له معاوية : يا أحنفُ

---

(١) «شنيع الكلام ورفث القول» هذا مفعول يجانب ، أما قوله « اللحن وخطل القول » فمفعول به للمصدر الذى هو مجانبة ، والمعنى أنه يترك شنيع الكلام ورفث القول قبل أن يترك اللحن وخطل القول .

(٢) بكت هذه العجوز حين سمعت ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم، فقال لها «إنك لست بعجوز يومئذ » وقال الله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء ، فجعلناهن أبكارا) .

ما الشيء المُلَفَّفُ في البِجَادِ ؟ قال له : السَّخِينَةُ يا أمير المؤمنين ؛ أراد معاوية قول الشاعر(١) :

إذا ما مَاتَ مَيْتٌ من تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أن يعيشَ فَجِئْ بزادِ
بخبزٍ ، أو بتمرٍ ، أو بسمنٍ أو الشيء المُلَفَّفِ في البِجَادِ
تراه يُطَوِّفُ الآفاق حِرْصاً ليأكلَ رأسَ لُقمانَ بنِ عادِ ،

و « الملفف في البجاد » وَطْبُ اللبن(٢) ؛ وأراد الأحنف أن قريشاً تعيَّرُ بأكل السَّخينة ، وهي حِساء من دقيق يُتَّخَذ عند غلاء السِّعْر ، وَعَجَف المال وَكَلَب الزمان(٣) ؛ فهذا وما أشبهه مَزْحُ الأشراف وذوى المُرُوءات ، فأما السِّبَاب وَشَتْمُ السَّلَف وَذِكْرُ الأعراض بكبير الفَوَاحش ؛ فمما لا نرضاه لخِسَاسِ العبيد وَصِغَار الولدان .

ونستحب له أن يَدَعَ في كلامه التقْعِيرَ وَالتَّقْعِيبَ(٤) ، كقول يحيى بن يَعْمُر

---

(١) هذه الأبيات ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى ، وذكر الجاحظ أنها لأبى المهوش الأسدى ، قاله ابن السيد البطليوسى ، وكان بنو تميم قوم الأحنف يعيرون بحب الطعام والشره إليه ، ومن ذلك قول يزيد أيضاً :

ألا أبلغ لديك بنى تميم بآية ما يحبون الطعاما

وكافة قريش ــ وهم قوم معاوية ــ تعير بأكل السخينة ، حتى سموهم سخينة ، قال خداش ابن زهير :

ياشدة ماشددنا يوم ذاك على ذوى سخينة لولا الليل والحرم

وقال حسان بن ثابت الأنصارى شاعر النبى صلى الله عليه وسلم :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغـــلاب

(٢) الوطب ــ بفتح فسكون ــ زق اللبن خاصة ، والبجاد ــ بكسر الباء ــ هو الكساء فيه خطوط . وكانوا يلفون الوطب فى البجاد ويتركونه حتى يروب اللبن .

(٣) « كلب الزمان » شدته وقحطه ، و « عجف المال » هزاله وضعفه .

(٤) التقعير : الانتهاء إلى قعر الشيء ، هذا أصله ، وتقول «قعر الرجل» إذا روى =

لرجل خاصمتْهُ امرأته : « أَأَنْ سَأَلَتْكَ ثَمَنَ شَكْرِهَا وَشَبْرِكَ ، أنشأتَ تَطُلُّهَا وَتَضْهَلُهَا(١) » ، وكقول عيسى بن عمر ـ ويوسفُ بن عمرَ بن هُبَيرة يضرِبه بالسياط ـ « والله إنْ كانت إلا أُثَيَّابًا فى أُسَيْفَاطٍ قبضها عشّارُوكَ »(٢) .

فهذا وأشباهه كان يُسْتثقلُ والأدبُ غَضٌّ والزمان زمان ، وأهله يَتَحَلَّوْنَ فيه بالفصاحة ، ويتنافسون فى العلم ، ويرونه تِلْوَ المقدار فى دَرَك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون ، فكيف به اليومَ مع انقلاب الحال ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أبغضكم إلىَّ الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ المتشدّقون » ؟؟ !!

ونستحبُّ له ـ إن استطاع ـ أن يَعْدِلَ بكلامه عن الجهة التى تُلزمه مستثقَل الإعراب ليَسْلَم من اللحن وقباحة التقعير ؛ فقد كان وَاصِلُ بن عَطَاء سامَ نفسَه لُلثْغَةٍ [كانت به] إخراجَ الراء من كلامه ، وكانت لُثغته على الراء ، فلم يزل يَرُوضها حتى انقادت له طِباعُه ، وأطاعه لسانه ؛ فكان لا يتكلم فى مجالس التناظُر بكلمة فيها راء ، وهذا أشدُّ وأعسر مَطْلبًا مما أردناه .

وليس حُكم الكتاب فى هذا الباب حُكْمَ الكلام ؛ لأن الإعراب

= فنظر فيما يغمض من الرأى حتى يستخرجه ، كأنه إذا تكلم بكلام غريب عويص احتيج إلى إخراج معانيه كما يحتاج إلى إخراج ما فى القعر . والتقعيب مثل التقعير ، ومعناه التعمق .

(١) الشكر ـ بفتح فسكون ـ الفرج ، والشبر ـ بفتح فسكون ـ النكاح ، و« تطلها » تمنعها حقها ، و « تضهلها » تعطيها القليل من حقها .

(٢) « عيسى بن عمر » ثقفى من أهل البصرة، من متقدمى النحاة ، عنه أخذ الخليل ابن أحمد ، وهو صاحب كتابى الإكمال والجامع ، وكان صاحب تقعير فى كلامه واستعمال للغريب فيه . و « يوسف بن عمر » هو أبو عبد الله يوسف بن عمر بن هبيرة الثقفى ابن عم الحجاج بن يوسف ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك ، ثم ولاه العراق ومحاسبة خالد بن عبدالله القسرى ، و «أثياب» تصغير أثواب الذى هو جمع ثوب ، و «أسيفاط» تصغير أسفاط وهو جمع سفط ، وهو ـ بفتحتين ـ يشبه القفة ، والعشارون : جمع عشار وهو الذى يأخذ من القوم عشر أموالهم ، وهو عامل الزكاة .

لا يَقْبُح منه شيء فى الكتاب ولا يثقُلُ ، وإنما يُكره فيه وَحْشِيُّ الغريب ، وتعقيد الكلام ، كقول بعض الكتَّاب[١] فى كتابه إلى العامل فوقه « وأنا مُحْتَاجٌ إلى أن تُنْفِذَ إلىَّ جيشاً لَجِباً عَرَمْرَما » ، وقول آخر[٢] فى كتابه : « عَضَبَ عَارِضُ ألمٍ ألمَّ فأنهيتُه عُذراً » وكان هذا الرَّجل قد أدرك صدراً من الزمان ، وأُعْطِىَ بَسْطة فى العلم واللسان ، وكان لا يُشَان فى كتابته إلا بتَرْكِه سَهْلَ الألفاظ ومستعمَلَ المعانى ، و بلغنى أن الحسن بن سهل أيام دولته رآه يكتب وقد ردَّ عن هاء « الله » خطا من آخر السطر إلى أوله ، فقال : ما هذا ؟ فقال : طُغيان فى القلم . وكان هذا الرجل صاحب جِدٍّ ، وأخا وَرَع وَدين ، لم يمزح بهذا القول ، وَلا كان الحَسَنُ أيضاً عنده ممن يمازَحُ .

ونستحبُّ له أيضاً أن يُنَزِّل ألفاظه[٣] فى كتبه ؛ فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه ، وأن لا يعطىَ خسيسَ الناس رفيعَ الكلام ، ولا رفيعَ الناس وضيعَ الكلام ؛ فإنى رأيت الكتَّاب قد تركوا تفقُّدَ هذا من أنفسهم ، وخلَّطوا فيه ؛ فليس يفرقون بين من يكتب إليه « فرَأْيَكَ فى كذا » و بين مَنْ يكتب إليه

---

(١) لم أقف على هذا الكاتب ، ولم يبينه أحد من شراح الكتاب ، واللجب — بفتح فكسر — ذو الأصوات المختلطة لكثرته ، والعرمرم — بزنة سفرجل — الكثير أيضاً ، وأصله من العرام ، وهو الحدة والشرة .

(٢) ذكر الجواليقى أن اسم هذا الكاتب [أحمد بن] شريح ، من أهل مرو ، و «عضب» أى : قطع ، والألم: المرض ، وعارضه : مايحدث منه ويطرأ ، و « ألم » فعل ماض معناه نزل ، و « أنهيته » جعلته نهاية ، أو أبلغته ، وكان هذا الرجل قد أخذ على نفسه قضاء مهمة لأحد إخوانه ، فنزل به مرض ، فأراد أن يعتذر لصديقه بمرضه عن التأخر فى قضاء ما التزمه .

(٣) تنزيل الكلام : ترتيبه ، ووضع كل شيء منه فى مرتبته اللائقة به ، وذكره فى الوقت الذى ينبغى فيه .

« فإنْ رأيت كذا » و « رأيك » إنما يكتب بها إلى الأكفاء والمساوين ، لا يجوز أن يكتب بها إلى الرؤساء والأستاذين[1] ؛ لأن فيها معنى الأمر ولذلك نُصِبَتْ ، ولا يفرُقون بين من يكتب إليه « وأنا فعلْتُ ذلك » وبين من يكتب إليه « ونحن فعلنا ذلك » و « نحن » لا يكتب بها عن نفسه إلا آمرٌ أو ناهٍ ؛ لأنها من كلام الملوك والعظماء ، قال الله عز وجل : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وقال : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) وعلى هذا الابتداء خوطبوا فى الجواب ، فقال تعالى حكايةً عمن حضره الموت : (رَبِّ ارجعون لَعَلِّي أَعْمَلُ صالحاً فيما تَرَكت) ولم يقل رب ارجعن . وربما صدَّر الكاتب كتابه بـ « أكرمك الله » و « أبقاك » فإذا توسط كتابه ، وعدَّد على المكتوب إليه ذنوباً له ، قال : « فلعَنَكَ الله وأخْزَاكَ » فكيف يكرمه الله ويلعنه ويخزيه فى حال ؟ ؟ ! ! وكيف يُجْمَعُ بين هذين فى كتاب ؟ قال أبْرَوِيزُ لكاتبه فى تنزيل الكلام : « إنما الكلام أربعة : سؤالكَ الشيء ، وسؤلك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرُك عن الشيء ؛ فهذه دعائم المقالات إن التُمس إليها خامسٌ لم يوجد ، وإن نَقَصَ منها رابع لم تتم ؛ فإذا طَلَبْتَ فأسْجِحْ[2] ، وإذا سألت فأوضِحْ ، وإذا أمَرْتَ فأحكِمْ ، وإذا أخْبَرْت فحقق » وقال أيضاً : « واجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول » يريد الإيجاز ، وهذا ليس بمحمود فى كل موضع ، ولا بمختار فى كل كتاب ، بل لكل مقام مقال ، ولو كان الإيجاز محموداً فى كل الأحوال لجرَّده الله تعالى فى القرآن ، ولم يفعل الله ذلك ؛ ولكنه

---

(١) فى نسخة « والأساتذة » .

(٢) « أسجح » أى : ارفق وسهل ، ومنه قول عقبة الأسدى :

معاوى إننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وفى أمثالهم « ملكت فأسجح » وقوله «وإذا سألت فأوضح» أى : بين سؤالك

أطال تارةً للتوكيد ، وحذف تارةً للإيجاز ، وكرَّر تارة للإفهام ؛ وعِلَلُ هذا مستقصاةٌ فى كتابنا المؤلف فى « تأويل مُشْكِلِ القرآن » وليس يجوز لمن قام مقاماً فى تحضيض على حرب أو حَمَالة بدم[1] أو صلح بين عشائر أن يُقَلِّلَ الكلامَ وَيَخْتَصِرَهُ ، ولا لمن كتب إلى عَامَّةٍ كتاباً فى فتحٍ أو استصلاحٍ أن يُوجِزَ . ولو كتب كاتب إلى أهل بلد فى الدعاء إلى الطاعة والتحذير عن المعصية كِتَابَ يزيدَ بن الوليد إلى مَروان حين بلغه عنه تَلَكُّؤُه فى بيعته « أمَّا بعد فإنى أراكَ تقدِّم رِجْلاً وتُؤَخِّرُ أُخْرَى ، فَاعْتَمِدْ على أيتهما شئت ، والسلام » ؛ لم يَعْمَلْ هذا الكلام فى أنفُسها عملَهُ فى نفس مَروان ، ولكن الصواب أن يُطِيل ويكرِّر ، ويُعِيدَ ويُبْدِىءَ ، ويُحَذِّرَ ويُنْذِر .

* * *

هذا منتهى القول فيما نختاره للكاتب ؛ فمن تكامَلَتْ له هذه الأدوات وأمدَّه الله بآداب النفس ـ من العَفاف ، والحلم ، والصبر ، والتواضع للحق ، وسكونِ الطائر ، وخَفْضِ الجَناح ـ فهذا المتناهى فى الفضل ، العالى فى ذُرَى المجد ، الحاوى قَصَبَ السبق ، الفائزُ بخير الدارين ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) التحضيض والحض : الإغراء بالشىء والترغيب فيه ، والحمالة ـ بفتح الحاء ـ الكفالة ، والحميل : الكفيل وزنا ومعنى ، والعشائر : جمع عشيرة .

كتاب المعرفة

بَابُ مَعْرِفَةِ مَا يَضَعُهُ النَّاسُ فِى غَيْرِ مَوْضِعِهِ

من ذلك « أَشْفَارُ الْعَيْنِ » يذهب الناس إلى أنها الشَّعَرُ النابت على حروف العين ، وذلك غلط ، إنما الأشفار حروف العين التى ينبت عليها الشعر ، والشَّعْرُ هو الهُدْب . وقال الفقهاء المتقدمون : فى كل شُفْر من أشفار العين رُبْعُ الدية ، يعنون فى كل جَفْن ، وَشُفْر كل شىء حرفه ، وكذلك شَفِيره ، ومنه يقال: « شَفِيرُ الوادى » و « شُفْرُ الرَّحم » ، فإن كان أحد من الفصحاء سَمّى الشعر شُفْرا فإنما سماه بِمَنْبِتِه ، والعرب تسمِّى الشىء باسم الشىء إذا كان مجاوراً له ، أو كان منه بسبب، على ما بيَّنتُ لك فى « باب تسمية الشىء باسم غيره » .

وَمن ذلك « حُمَةُ العقرب وَالزُّنبور » يذهب الناس إلى أنها شَوْكَةُ العقرب وَشوكة الزنبور التى يَلْسعان بها ؛ وذلك غلط ، إنما الحُمَةُ سمُّهما وضَرُّهما ، وكذلك هى من الحية ، لأنها سم ، ومنه قول ابن سيرين « يكره التِّرْياق إذا كان فيه الحُمَة» يعنى بذلك السم ، وأراد لُحوم الحيَّات لأنها سم . ومنه قوله «لا رُقْيَةَ إلا من نَمْلَة أو حُمَة أو نَفْس » فالنملة : قُرُوحٌ تخرج فى الجنب ، تقول المجوس : إن ولد الرجل إذا كان من أخته ثم خَطَّ على النملة يشفى صاحبها ، قال الشاعر[1]:

وَلاَ عَيْبَ فينا غيرَ عِرْقٍ لمعشرٍ
كِرَامٍ ، وَأَنَّا لاَ نَخُطُّ عَلَى النَّمْلِ[2]

---

(١) نسب هذا البيت لعمر بن حمعة الدوسى ، ونسب لمزاحم العقيلى ، ونسب لعروة بن أحمد الخزاعى .

(٢) قبل هذا البيت قوله : =

يريد أنا لسنا بمجوس ننكح الأخوات[١] . وَالنفسُ : العينُ ، يقال : أصابت فلاناً نفسٌ . والنافِسُ : العائنُ ، والحمة لكل هامَّة ذات سمّ ، فأما شوكة العقرب فهى الإبْرَةُ .

ومن ذلك « الطَّرَبُ » يذهب الناس إلى أنه فى الفَرَح دون الجزَع ، وليس كذلك ، إنما الطرب خفّة تصيب الرجلَ لشدَّة السرور ، أو لشدَّة الجزع ، قال الشاعر، وهو النابغة[٢] الجَعْدِىُّ :

وَأَرَانِى طَرِباً فى إثْرِهِمْ طَرَبَ الْوَالِهِ أو كالْمُخْتَبَلْ[٣]

= لنا العزة القعساء والبأس والندى بدينا بها فى كل ناد وفى حفل
وإن تشرب الكلبى المراض دماءنا برين ، ويبرى ذو نجيس وذوخبل

و « العزة » الغلبة والمنعة ، و « القعساء » الثابتة ، و « بدينا » أراد بدأنا فخفف الهمزة ، وكذلك « برين » و « يبرى » فى البيت الذى بعده ، أصلهما برئن ويبرأ فخفف الهمزة فيهما ، و « ناد » هو مجلس القوم ومكان اجتماعهم ، و « الحفل » المجتمع ، و « نجيس » هو الداء الذى لايبرأ ، و « خبل » هو الجنون وفساد الأعضاء ، يقول : لنا الفضل على الناس بالغلبة والشدة ، ونحن ملوك دماؤنا تشفى الكلب والأمراض التى لاعلاج لها .

(١) وقف إسماعيل بن يسار ، وكان شعوبيا متعصبا على العرب ، ينشد :

إذ نربى بناتنا وتدسو ن سفاها بناتكم فى التراب

فقال له أشعب : أراد العرب بناتهم لغير ما أردتموهن ، فدفنوهن خوف العار ، وربيتموهن أنتم لتنكحوهن ، فضحك الناس وخجل إسماعيل .

(٢) اسمه عبد الله بن قيس ، وكنيته أبو ليلى .

(٣) قبل هذا البيت قوله :

سألتنى جارتى عن أمتى وإذا ماعى ذواللب يسل
سألتنى عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

« جارتى » أراد امرأته « أمتى » قومه والقرن الذى يعيش فيه ، و« عى » جهل وجه الصواب « يسل » أراد يسأل، فحذف الهمزة كما تحذف فى فعل الأمر فى نحو =

وقال آخر (١):

يَقلنَ : لقَدْ بَكَيْتَ ، فقلتُ : كلاَّ
وَهَلْ يَبكى مِنَ الطَّرَب الجَليدُ (٢) ؟ ! !

ومن ذلك « الحِشْمَة » يضعها الناس موضع الاستحياء ، قال الأصمعى : وليس كذلك ، إنما هى بمعنى الغضب . وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال : « إن ذلك لمَّا يُحْشِمُ بنى فلان » أى : يغضبهم (٣) .

قال الأصمعى : ونحوٌ من هذا قول الناس « زَ كِنْتُ الأمر » يذهبون فيه

= « سل بنى إسرائيل » وهو حذف كثير فى الأمر شاذ فى المضارع ، و « الواله » التحير ، و « المختبل » الذاهب العقل ، يقول : أرانى أستخف من بعدهم كما يستخف المتحير أو الذى ذهب عقله .

(١) نسبه قوم لبشار برد ، وصوب الجواليقى أنه لأبى جنة ــ بالجيم والنون ــ الأسدى ، واسم أبى جنة : حكيم بن عبيد ، وقيل : حكيم بن مصعب ، وهو خال ذى الرمة .

(٢) رواية الجواليقى والبطليوسى * فقلن لقد بكيت ــ إلخ * وقبله :

كتمت عواذلى ما فى فؤادى وقلت لهن : ليتهم بعيد
وفاضت عبرة أشفقت منها تجود كأن وابلها الفريد

و « كتمت عواذلى ــ إلخ » أراد أخفيت عنهن ما أجده من الوجد بالذين تحملوا ، وأظهرت لهم السرور ببعدهم خوفا من لومهم ، و « الفريد » جمع فريدة ، وهى الشذرة من الفضة كاللؤلؤة .

(٣) قال الجواليقى : « الحشمة فى اللغة لها موضعان : أحدهما الغضب ، والآخر الحياء ، وقيل للمبرد : الحشمة الغضب والحشمة الحياء ، ما معنى ذلك ؟ فقال : الغضب والحياء كلاهما نقصان يلحق النفس ؛ فكان مخرجهما واحدا ؛ وسمى حشم الرجل حشما لأنهم يغضبون لغضبه » اهـ ، وقال البطليوسى : « هذا (الذى ذكره ابن قتيبة) قول الأصمعى ، وهو المشهور ، وقد ذكر غيره أن الحشمة تكون بمعنى الاستحياء » اهـ

إلى معنى ظننتُ وتوَهَّمتُ ، وليس كذلك ، إنما هو بمعنى علمتُ ، يقال : زَكِنْتُ الأمر أزْكَنُهُ . قال قَعْنَبُ بنُ أم صاحب[1] :

ولَنْ يُرَاجِعَ قَلْبِي وُدَّهُمْ أبَداً
زَكِنْتُ مِنْهُمْ عَلَى مِثْلِ الَّذِي زَكِنُوا[2]

أى: علمت منهم مثل الذى علموا منى[3] .

ومن ذلك « القَافِلَةُ » يذهب الناس إلى أنها الرُّفْقَة فى السفر ، ذاهبةً كانت أو راجعة ، وليس كذلك[4] ، إنما القافلة الراجعة من السفر ، يقال : قَفَلَتْ فهى قافلة ، وَقَفَلَ الجُنْدُ من مَبْعَثِهم ، أى : رَجَعوا ، ولا يقال لمن خرج إلى مكة من العراق قافلة حتى يَصْدُروا .

وَمن ذلك « المأتَمُ » يذهب الناس إلى أنه المصيبة ، يقولون : كنا فى مأتم ، وليس كذلك ، إنما المأتم النساء يجتمعن فى الخير والشر ، والجمع مآتِمُ ، والصواب أن يقولوا كنا فى مَنَاحة ، وإنما قيل لها مَنَاحة من النَّوَائح لتَقابلهن عند البكاء ،

---

(١) يقوله فى بنى ضب وبنى وهب ، وهم بنو أعمامه من بنى عبد الله بن غطفان

(٢) قال ابن درستويه : « وليس فى البيت دليل على ما استشهدوا عليه به ، إنما معناه خمنت على مثل ماخمنوا عليه من سوء الظن ، والعرب تقول : فلان صاحب إزكان ، وليسوا يعنون صاحب علم ، ولكن صاحب حزر » اهـ بتصرف وإيضاح

(٣) نقل البطليوسى عن أبى زيد قوله «والظن إذا قوى فى النفس وكثرت دلائله على الأمر المظنون صار كالعلم ؛ ولأجل هذا استعملت العرب الظن بمعنى العلم » اهـ

(٤) قال الأزهرى : « هذا غلط ؛ ما زالت العرب تسمى الناهضين فى ابتداء الأسفار قافلة ، تفاؤلا بأن ييسر الله لها القفول ، وهو شائع فى كلام فصحائهم » ومثل هذا نقل عن ابن الأعرابى .

يقال: الجبلان يتناوحان ، إذا تقابلا ، وكذلك الشَّجَرُ ، وقال الشاعر[١] :

عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشُقِّقَتْ
جُيُوبٌ بِأَيْدِى مَأْتَمٍ وخدودُ[٢]

أى : بأيدى نساء[٣] : وقال آخر[٤] :

رَمَتْه أَنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ
نَؤُومُ الضُّحَا فِى مَأْتَمٍ أَىِّ مأتمِ[٥]

يريد فى نساء أىّ نساء .

وَمن ذلك قول الناس : « فلان يتصدَّقُ » ، إذا أعْطَى ، وَ «فلان يتصدَّقُ »

---

(١) هذا البيت لأبى عطاء السندى ، واسمه مرزوق ، من كلمة يرثى فيها ابن هبيرة ، وكان المنصور قد قتله ، وقبل البيت قوله :

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط عليك بجارى دمعها لجمود

وقوله « لم تجد » أى : لم تسمح بالبكاء ، وقوله « لجمود » أى : قليلة الدمع . يقال : عين جامدة وجمود ، ويقال : سنة جماد ، أى قليلة المطر .

(٢) قوله « عشية » هو بدل من قوله « يوم واسط » فى البيت المتقدم ، وقيام النائحات : تهيؤها للنوح ، والجيوب : جمع جيب .

(٣) حكى ابن الأنبارى أن المأتم يطلق على الرجال أيضاً ، وأنشد على ذلك قول الراجز :

حتى تراهن عليه قياما كما ترى حول الأمير المأتما

(٤) البيت لأبى حية النميرى ، واسمه الهيثم بن الربيع .

(٥) الأناة : المرأة التى فيها فتور عند القيام ، وأصلها وناة ، من الونى الذى هو الفتور والكسل ، وربيعة عامر : ربيعة بن صعصعة ، ونؤوم الضحا : كناية عن كونها مكرمة تخدمها الناس ولا تخدم غيرها .

إذا سألَ ، وهذا غلط ، وَالصواب « فلان يسأل » ،و إنما المتصدّق المُعْطِى، قال الله تعالى : (وتَصَدَّقْ علينا إن الله يجزى المتصدّقين) .

ومن ذلك « الحمام » يذهب الناس إلى أنه الدَّوَاجنُ التى تُسْتَفْرَخُ فى البيوت وذلك غلط ، إنما الحمام ذوات الأطواق وما أشبهها مثل الفَوَاخِت والقَمارِىّ والقَطَا ، قال ذلك الأصمعى، ووافقه عليه الكسائى ، قال حُمَيد بن ثَوْر [الهلالىّ] :

وَمَا هَاجَ هٰذَا الشَّوْقَ إلاَّ حَمَامَةٌ
دَعَتْ سَاقَ حُرّ تَرْحَةً وَتَرَنُّمَا(١)

فالحمامة ههنا قُمْرِيَّة . وقال النابغة الذبيانى :

وَاُحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَىِّ إذْ نَظَرَتْ
إلى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ(٢)

قال الأصمعى : هذه زَرْقَاء اليَمامة نظرت إلى قَطًا . قال : وأما الدواجن فهى التى تُسْتَفرَخ فى البيوت ؛ فإنها وَما شاكلها من طير الصحراء اليَمامُ ، الواحدة يمامة .

ومن ذلك «الرَّبِيعُ» يذهب الناس إلى أنه الفصل الذى يتبع الشتاء ويأتى فيه الْوَرْدُ والنَّوْرُ ، ولا يعرفون الربيع غيره ، والعرب تختلف فى ذلك: فمنهم من يجعل

---

(١) ساق حر : قيل : هو ذكر القمر ، وقيل : الحر فرخ الحمام ، والساق أبوه ، وقيل : ساق حر حكاية صوتها . والترحة : الحزن ، والترنم : الصوت الذى لا يفهم ، يقول : ما أثار شوقى إلا صوت قمرية تدعو ذكرها .

(٢) « احكم » من الحكمة ، أى : أصب مثل إصابة هذه الفتاة ، وضع الأمر فى موضعه ، و« سراع » يروى بالسين المهملة ، ويروى بالشين المعجمة ؛ فأما الأولى فمأخوذة من السرعة ، وأما الثانية فمأخوذة من الشروع فى الشىء . والثمد : القليل من الماء .

الربيعَ الفصلَ الذى تُدْرِك فيه الثمار — وهو الخريف —وفصلُ الشتاء بعده ؛ ثم فصلُ الصيف بعد الشتاء — وهو الوقت الذى تدعوه العامة الربيع — ثم فصل القَيْظ بعده ، وهو الوقت الذى تدعوه العامة الصيف ؛ ومن العرب من يسمى الفصل الذى تدرك فيه الثمار —وهو الخريف— الربيعَ الأولَ ، ويسمى الفصل الذى يتلو الشتاء وتأتى فيه الْكَمْأَةُ والنَّوْرُ الربيعَ الثانى ، وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع .

ومن ذلك «الظلُّ والْفَيْء» يذهب الناس إلى أنهما شىء وَاحد ، وليس كذلك؛ لأن الظل يكون غُدْوَةً وعَشِيّةً ، ومن أول النهار إلى آخره ، ومعنى الظل السِّتْر ، ومنه قول الناس « أَنَا فِى ظِلِّكَ » أى : فى ذُرَاكَ وسِتْرِك ، ومنه « ظل الجنة ، وظل شجرها » إنما هو سترُها وَنواحيها ، وظلُّ الليل سواده ؛ لأنه يستر كل شىء. قال ذو الرِّمة :

قَدْ أَعْسِفُ النازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْسِفُهُ
فِى ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ[1]

أى : فى سِتْر ليل أسودَ ، فكأن معنى ظل الشمس ما سترته الشخوصُ من مَسْقطها ، والفىء لا يكون إلا بعد الزوال ، ولا يقال لما قبل الزوال فىء[2] . وإنما

(١) « أعسف » أى : أسير على غير هداية ، و « النازح » الحرق البعيد و « المجهول معسفه » أى : الذى لايهتدى لطريق السير فيه ، و « الهام » : جمع هامة وهى أنثى البوم ، وذكرها الصدا ، والأخضر : الأسود ، وظله:ستره ، ويروى فى مكانه « فى ظل أغضف » وهو المتثنى ، بالغ الشاعر فى وصف نفسه بقطع الفلوات وارتكاب الأهوال ؛ لأنه لم يكفه أن يجعل الموضع الذى يسير فيه خرقا لايهتدى فيه حتى أخبر أنه يسرى فى ليل أسود لا قمر فيه ، ثم جعله لايسمع به سوى صوت البوم .

(٢) قال ابن السكيت : الظل ما نسخته الشمس ، والفىء : مانسخ الشمس ، وقال رؤبة : ما كانت عليه الشمس فزالت فهو فىء وظل ، وما لم تكن عليه شمس فهو ظل .

سمى بالعشى فيئاً لأنه ظلٌّ فاءَ عن جانب إلى جانب ، أى : رجع عن جانب المغرب إلى جانب المشرق ، والفىء هو الرجوع ، ومنه قول الله عز وجل: (حَتَّى تَفِىءَ إلى أَمْرِ الله) أى : ترجع . وقال امرؤ القيس :

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتى عِنْدَ ضَارِجٍ
يَفِىءُ عَلَيهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِ[(١)]

أى : يرجع عليها الظل من جانب إلى جانب : فهذا يدلك على معنى الفىء .

وقال الشمّاخُ :

إذَا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خُدُودُ جَوَازِىء بالرَّمْلِ عِينِ[(٢)]

أَبْرَدَاه : الظل والفىء ، يريد وقت نصف النهار ، وكأن الظباء فى بعض ذلك الوقت كانت فى ظل ثم زالت الشمسُ فتحوّل الظل فصار فيئاً فحوَّلَتْ خدودها .

ومن ذلك «الآل والسَّرَاب» لا يكاد الناس يَفرُقون بينهما ، و إنما الآل أولَ النهار وآخرَه الذى يرفع كل شىء ، وسمى آلاً لأن الشخصَ هو الآل ، فلما رَفعَ الشخصَ قيل هذا آلٌ قد بَدَا وتبين ، قال النابغة الجَعْدِى :

حَتَّى لَحِقنَا بِهِمْ تُعْدِى فَوَارِسُنَا
كأننا رَعْنُ قُفٍّ يَرْفَعُ الآلا[(٣)]

---

(١) تيممت : قصدت . وضارج : موضع فى ديار بنى عبس ، والعرمض : الخضرة التى تعلو الماء ، وهو الطحلب ، والطامى : هو المرتفع .

(٢) الأرطى : ضرب من الشجر تدبغ به الجلود ، وخصه بالذكر لأن منبته فى الرمل ، والبقر والظباء تعوذ به من الحر والبرد والمطر ، والأبردان : الظل والفىء ، وتوسدها: اتخاذها وسادة ،والجوازىء : الظباء التى تجتزىء بالرطب عن الماء، والعين : جمع عيناء ، وهى الواسعة العين .

(٣) « تعــدى » أى : تحضر الخيل ، مضارع « أعداه »أى : جعله يعدو ،=

وهذا من المقلوب ، أراد كأننا رَعْنُ قُفٍّ يرفعه الآل ، وأما السَّرَاب فهو الذى تراه نصفَ النهار كأنه ماء ، قال الله عز وجل : (كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظمآنُ ماء) [1] .

ومن ذلك « الدَّلَجُ » يذهب الناس إلى أنه الخروج من المنزل فى آخر الليل ، وليس كذلك ، إنما الدلَجُ سير الليل ، قال الشاعر [2] [يصف إبلا] :

كأنهـــا وقد بَرَاهَا الْأَخْمَاسْ ودَلَجُ الليـــل وهادٍ قَيَّاسْ
[وَمَرِجَ الصُّفْرُ وَمَاجَ الأَحْلَاسْ] شَرَائِجُ النَّبْعِ براها القَوَّاس [3]

= وقوله «تعدى فوارسنا » فيه حذف المفعول للعلم به ، والأصل « تعدى فوارسنا خيلهم » والرعن : الأنف العظيم من الجبل تراه متقدما ، والقف : الجبيل الصغير ، والرعن من القف نادر ، قال أبو عبيدة : والرعن والآل كلاهما يرفع أحدهما الآخر ، وليس هذا من المقلوب ؛ لأنه شبه الكتيبة برعن القف ، وشبه ما على الكتيبة من الحديد بالآل ، فلو كان الآل هو الرافع لم يكن التشبيه واقعاً ، لأن الحديد أبداً يعلو الكتيبة .

(١) القيعة : جمع قاع ، وهو المنبسط من الأرض الذى لانبت فيه ، ومثله نار ونيرة ، وولد وولدة ، وأخ وإخوة .

(٢) الأبيات للشماخ بن ضرار ، وكنيته أبو سعد .

(٣) الضمير فى « كأنها » يعود إلى الإبل ، والأخماس : جمع خمس ، وهو أن ترد الإبل الماء يوماو تدعه ثلاثة أيام ثم ترد فى اليوم الخامس . و «براها» أى : هزلها وأتعبها وقطع لحمها . و « دلج الليل » سيره كله . و « الهادى » الدليل . و « القياس » الذى يقيس طريقا بطريق فيأخذ بالأشبه . ويروى فى مكانه « قسقاس » وهو الهادى المتفقد الذى لايغفل ، إنما دأبه التلفت والتنظر . يقول : هزل هذه الإبل إظماؤها وسراها وإتعاب دليلها إياها ؛ لأنه لايتوقف للاستدلال فتستريح حين وقوفه . والشرائج : جمع شريجة ، ودلك أن تشق القضيب نصفين ، فتعمل منه قوسين ، فكل واحدة شريجة وشريج أيضاً ، و « براها » قطعها و « القواس » : صانع القوس .

وقال أبو زُبَيْدٍ[1] يذكر قوماً يَسْرُون :

فَبَاتُوا يُدْلِجُونَ وبَاتَ يَسْرِى بَصِيرٌ بالدُّجَى هَادٍ غَمُوسُ[1]

يعنى الأسد . وكان رجل من أصحاب اللغة يخطِّىء الشماخ فى قوله :

وتَشْكُو بِعَيْنٍ ما أَكَلَّ رِكَابَهَا

وقِيلَ الْمُنَادِى أَصْبَحَ الْقَوْمُ أَدْلِجِى[2]

وقال : كيف يكون الإدلاج مع الصبح ؟ ولم يرد الشَّمَّاخُ ما ذهب إليه ، وإنما أراد المنادى كان مرة ينادى « أصبح القوم » كما يقول القائل لقوم أصبحوا وهم نيام « أَصْبَحْتم كَمْ تنامون ؟ » وكان مرة ينادى « أدلجى » أى : سيرى ليلا . يقال : أَدْلَجْتُ فأنا مُدْلِجٌ إدلاجاً ، والاسم الدَّلَجُ — بفتح الدال واللام — والدَّلْجَة ؛ فإن أنت خرجت من آخر الليل فقد ادَّلَجْتَ — بتشديد الدال — تدَّلج ادِّلاجاً ، والاسم منه الدُّلجة — بضم الدال — ومن الناس من يجيز الدَّلجة

---

(١) اسم أبى زبيد : حرملة بن المنذر الطائى ، وهو ممن اشتهر بكنيته وترك اسمه .

(٢) هذا البيت قد قيل فى وصف قوم سروا ليلهم والأسد يقفو آثارهم ويتبعهم حيث لايرونه ، يراعى غرتهم . وقوله «يدلجون» أى : يسرون ، و «الهادى» المهتدى الذى يعرف الطريق والمأخذ ، و « الغموس » الشديد الواسع الشدقين ، ويروى فى مكانه « هموس » وهو الذى لايسمع لقوائمه وطء ولا يحس به أحد .

(٣) قيل : هذا فى وصف ناقة . وشكواها : رغاؤها وأثر الكلال فيها ، وقيل : فى وصف امرأة ، يقول : غمزت بعينها وأومأت بيدها ؛ لأنها لاتقدر على الكلام ممن تهابه ، والقول هو الثانى بدليل ماقبل البيت ، وهو قوله :

وكنت إذا لاقيتها كان سرنا لنا بيننا مثل الشواء الملهوج

وكادت غداة البين ينطق طرفها بما تحت مكنون من الصدر مشرج

وقوله « ما أكل ركابها » الأحسن فى « ما » أن تكون تعجبية ، كما تقول : نظرت إلى رجل ما أجمل بزته .

والدُّلجة فى كل واحد منهما ، كما يقال : بَرْهة من الدهر وبُرْهة .

ومن ذلك « العِرْضُ » يذهب الناس إلى أنه سَلَفُ الرجل من آبائه وأمهاته ، وأن القائل إذا قال « شَتَمَ عرضى فلان » يريد شتم آبائى وأمهاتى وأهل بيتى ، وليس كذلك ، إنما عِرْض الرجل نفسُه ، ومَنْ شتم عِرْضَ رجل فإنما ذكره فى نفسه بالسوء ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل الجنة « لا يبولون ولا يَتَغَوَّطون ، إنما هو عَرَق يخرج من أعْراضهم مثل المِسْكِ » يريد يجرى من أبدانهم ، ومنه قول أبى الدَّرْداء « أقْرِض من عِرضك ليوم فقرك » يريد مَن شتمك فلا تشتمه ، ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ، ودَعْ ذلك عليه قَرْضاً لك ليوم القصاص والجزاء ، ولم يرد أقرض عرضك من أبيك وأمك وأسلافك : لأن شتم هؤلاء ليس إليه التحليلُ منه ، قال ابن عُيَيْنَة : لو أن رجلا أصاب من عرض رجل شيئاً ثم تَوَرَّعَ فجاء إلى ورثته أو إلى جميع أهل الأرض فأحَلُّوه ما كان فى حلٍّ ، ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه إلى ورثته لكنا نرى ذلك كفارة ، فعِرْضُ الرجل أشد من ماله ، قال حسان بن ثابت الأنصارى (١) :

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فأجَبْتُ عَنْهُ وعِنْدَ اللهِ فِى ذَاكَ الْجَزَاءُ

فإنَّ أَبِى وَوَالِدَهُ وَعِرْضِى لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ (٢)

أراد فإن أبى وجدى ونفسى وقاء لنفس محمد ، ومما يزيد فى وضوح هذا حديثٌ حدَّثنيه الزيادى عن حَمَّاد بن زيد عن هشام عن الحسن قال : قال رسول الله

---

(١) يقول حسان رضى الله تعالى عنه هذين البيتين من كلة لأبى سفيان بن الحارث دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع أول هذين البيتين قال له « جزاؤك على الله الجنة يا حسان » فلما سمع البيت الثانى قال له « وقاك الله يا حسان النار » وأول الكلمة قوله :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى مغلغلة فقد برح الخفاء

صلى الله عليه وسلم « أيَعْجِزُ أحدكم أنْ يَكونَ كأبى ضَمْضَمٍ ، كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إنى تصدَّقتُ بِعِرْضِى على عِبادك » .

ومن ذلك « العِتْرَة » يذهب الناس إلى أنها ذُرِّيَّةُ الرجل خاصَّةً ، وأنه من قال : « عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم » فإنما يذهب إلى ولد فاطمة رضى الله عنها ، وعِتْرَةُ الرجل ذريته وعشيرته الأدْنَوْنَ : مَنْ مضى منهم ، ومن غَبَرَ . ويدلك على ذلك قول أبى بكر رضى الله عنه « نحن عِتْرَة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى خرج منها ، وبَيْضَته التى تَفَقَّأَتْ عنه ، وإنما جِيبَتِ العربُ عنا كما جيبت الرحا عن قُطْبها[1] » ولم يكن أبو بكر رضوان الله عليه ليدَّعِيَ بحضرة القوم جميعاً مالا يعرفونه[2] .

ومن ذلك « الخُلْف ، والكَذِب » لا يكاد النـــاس يفرقون بينهما . والكذب فيما مضى ، وهو أن يقول : فعلت كذا وكذا ، ولم يفعله ، والخلف فيما يُسْتَقبل ، وهو أن تقول : سأفعل كذا وكذا ، ولا تفعله .

ومن ذلك « الجاعِرة » يذهب الناس إلى أنها حَلْقَة الدبر ، وهى تحتمل أن تسمى جاعرة لأنها تجعَر ، أى : تخرج الجُعَرَ ، ولكن العرب تجعل الجاعرتين من الفَرَس والحمار موضع الرَّقْمتين من مؤخر الحمـــار ، قال كعب بن زهير يذكر الحمار والأُتُنَ :

---

(١) التفقؤ : التشقق ، وضرب البيضة مثلا ، ومعنى قوله « وإنما جيبت العرب عنا — إلخ » أن العرب خرقت عنهم ، وكانوا وسطا ، وكان العرب حوالهم ، كما خرقت الرحا وفى وسطها القطب وهو الذى تدور عليه الرحا ، وهذا مثل أيضاً ؛ ضربه مريدا أنهم الدعامة التى يرتكنون إليها .

(٢) هذه الكلمة قالها أبو بكر رضى الله عنه للأنصار فى كلمته التى ألقاها يوم السقيفة .

إذا مَا انْتَحَاهُنَّ شُؤْبُوُبهُ رَأيْتَ لِجاعِرَتيْهِ غُضُونَا(١)

شُؤْبو به : شدة دَفْعَته ، يقول : إذا عدا واشتدَّ عَدْوه رأيت لجاعرتيه تكسُّراً لقَبْضِه قوائمه و بَسْطِه إياها . وَأما قول الهذَلى(٢) فى صفة الضبع :

* عَشَنْزَرَةٌ جَواعِرُها ثَمَانِ(٣) *

فلا أعرف عن أحد من علمائنا فيه قولا أرتضيه .

ومن ذلك « الفقير ، والمسكين » لا يكاد الناس يفرقون بينهما ، وَقد فَرَق الله تعالى بينهما فى آية الصدقات فقال جل ثناؤه (إنما الصَّدَقَاتُ للفقراء والمساكين) وجعل لكل صنف سَهْماً ، والفقير : الذى له البُلْغة من العيش ، والمسكين : الذى لاشىء له . قال الراعى(٤) :

---

(١) « انتحاهن » : قصدهن ، والضمير المستتر عائد إلى الحمار . وضمير المؤنثات عائد إلى الأتن ، والغضون : الاسترخاء .

(٢) الهذلى هو حبيب بن عبد الله ، وهو أخو صخر الغى .

(٣) «عشنزرة» هى الغليظة المسنة ، وإنما يريد الضبع ، هذا وقد قال أبو زكريا : قد وجدنا فى ذلك قولا مرضيا . وذلك أن هـذا مبنى على قولهم فى المثل « أحاديث الضبع من استها بالليل » يضرب مثلا للباطل ، وهو أن فى حياء الضبع خروقاً كثيرة فإذا كان الليل استقبلت الريح بحيائها، فيسمع له عند ذلك كالحديث ، فجعل الشاعر هـذه الخروق جواعر ، وادعى أنها ثمان ، والذى أنشده ابن قتيبة صدر بيت ، وعجزه :

* فويق زماعها خدم حجول *

والزماع : جمع زمعة ، وهى التى خلف الظلف مثل الزيتونة ، والخدم : جمع خدمة ، وهى مثل الخلخال .

(٤) اسمه عبيد بن معاوية بن نوح النميرى ، وكنيته أبو جندل .

أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلُوبَتُهُ
وَفْقَ الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ(١)

فجعل له حَلُوبة ، وجعلها وَفْقاً لعياله ، أى : قوتاً لا فَضْلَ فيه .

ومن ذلك «الخائن ، والسارق» لا يكاد الناس يفرقون بينهما ، والخائن : الذى أُؤتمن فأخذ فخان ، قال النَّمِرُ بن تَوْلَبٍ :

وَإِنَّ بَنِي رَبِيعَةَ بَعْدَ وَهْبٍ كَرَاعِي الْبَيْتِ يُحْفَظُهُ فَخَانَا(٢)

والسارق : مَنْ سرق سراً بأى وجه كان . ويقال : كل خائن سارق ، وليس كل سارق خائناً ، والغاصب : الذى جاهَرك ولم يستتر ، والقطعُ فى السرق دون الخيانة والغصب .

ومن ذلك «البخيل ، واللئيم» يذهب الناس إلى أنهما سواء ، وليس كذلك ، إنما البخيل الشحيح الضَّنين ، واللئيم الذى جمع الشُّحَّ ومهانة النفس ودناءة الآباء ، يقال : كل لئيم بخيل ، وليس كل بخيل لئيما .

قال أبو زيد : « الْمَلُوم » الذى يلام ولا ذنب له ، و « الْمُلِيمُ » الذى يأتى ما يُلاَم عليه ، قال الله عزّ وجلّ : (فَالْتَقَمَهُ الْحُوت وَهُوَ مُلِيم) والمِلْأم : الذى يقوم بعذر اللئام .

---

(١) الحلوبة — بفتح الحاء — الناقة أو الشاة متى كانت تحلب . وقوله « وفق العيال » معناه أن لها لبنا قدر كفايتهم لا فضل فيه عنهم ، و «السبد» هو الشعر أو الوبر وقبل البيت :

أزرى بأموالنا قوم بعثتهم بالعدل فينا ، فما أبقوا ولا قصدوا
نعطى الزكاة ، فما يرضى خطيبهم حتى تضاعف أضعافا لها عدد

(٢) « وهب » رجل من ربيعة نازع النمر بن تولب فى بئر تدعى الدخول ، وكان النمر سقاه فلم يشكر له ، يقول : وهب أمثل ربيعة ؛ فإذا خان فكلهم خائن .